طـرف ومـلـح وعـظـات

إعـداد

حـامـد على زقـزوق
من علماء الأزهر الشريف

أحمد حافظ عبد النبى
من علماء الأزهر الشريف

مكتبة الإيمان المنصورة

طـرف
ومـلـح وعـظـات

مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
ت : ٢٢٥٧٨٨٢

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن الله العون ، والاعتماد عليه سبحانه فى كل شئون الحياة وجميع الأحوال ، وما التوفيق إلا بالله ، وعليه التوكل وهو خير من يتوكل عليه .

وبعد :

فإذا اعتراك أخى القارئ صداع ، واستولى على رأسك وتحكم فيك، فما عليك إلا أن تأخذ بيدك هذه الطرائف ، وتسرح بصرك فى حديقة تلك الملح ، وتعيش مع ما فيها من أزاهير وعظية فوّاحة، وعندئذ ستجد الصداع الذى أرّقك قد رحل ، وسترى النتيجة لصالحك ،فلا صداع ولا وصب ،ولا أرق ولا تعب، ولا سأم ولا قلق ، ولا ملل ولا اكتئاب .

أجل أخى القارئ :إنها « روشتة » مجانية بلا مال تشتريها به: ونتيجة هذه « الروشتة » مائة فى المائة ، فخذها مع الاعتماد على الله ، وتناولها ولسانك يردد قول الله « وإذا مرضت فهو يشفين » والله هو الشافى وهوالمعين والمعافى .

وتلك أول سلسلة من سلاسل الطرائف ، وأول الغيث قطرة ثم ينهمر بمشيئة اللّه تعالى، واللّه نسأل أن يقوينا ونتابع المسيرة ، وهو سبحانه خير مسئول وأكرم مأمول .

حامد على زقزوق ، أحمد حافظ عبد النبى

الإهداء

إلى كل من يريدون الحياة الهانئة البعيدة عن المنغصات.

إلى كل من ينشدون السعادة النائية عن المكدرات .

إلى كل من يودون الاستقرار النفسى والهدوء فى الحياة .

إلى كل من يتطلعون إلى حياة خالية من التوتر العصبى .

إلى كل هؤلاء تهدى إليهم تلك السلسلة ، ففيها بغيتهم ، وبها يحققون أمنيتهم ، وبقراءتها سيجدون السعادة محالفة لهم، والله ولى التوفيق ، وهو نعم المولى ونعم المصير .

حامد على زقزوق - أحمد حافظ عبد النبى



١ـ الشهداء على الإنسان

الأول: الملائكة لقول الله تعالى : ﴿ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ ﴾ [النساء: ١٦٦]

الثانى : الأرض لقول الله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④﴾ [الزلزلة]

الثالث : الزمان كما جاء فى الخبر « ينادى كل يوم ، أنا يوم جديد ، وعلى عملك شهيد » .

الرابع : اللسان لقول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ [النور: ٢٤]

الخامس: الأركان ، لقول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ⑥⑤ ﴾[يس].

السادس: الملكان الكاتبان ، لقول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ⑩ كِرَامًا كَاتِبِينَ ⑪ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ⑫﴾ [الانفطار].

السابع:الديوان ، لقول الله تعالى : ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ﴾ [الجاثية: ٢٩] .

هذا هو النظام الربانى البديع ،والجهاز المحكم الذى ليس به

خلل، ولهذا فكل ما يصدر عن الإنسان، من خير أو شر مسجل عليه دون زيادة أو نقص . . إنه جهاز من صنع الله لا من صنع الإنسان وإنه فى يوم القيامة يكون الجزاء بعد الوقوف أمام محكمة العدل الإلهية ،فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى اللّه بقلب سليم ، ثم بعد المناقشة فريق فى الجنة وفريق فى السعير، ونسأل اللّه السلامة، والعاقل هو الذى يتزود للآخرة بالزاد الذى جاء به القرآن الكريم فى قول اللّه تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧)﴾[البقرة] والإنسان فى حياته الدنيوية كأنه فى رحلة، والرحلة لها بداية ونهاية، وعندما تنتهى تلك الرحلة يكون الموت الذى لا مناص منه ولا مهرب ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء : ٧٨]

تلك هى النهاية ،وهذا هو مصير كل إنسان ،فليكن الإنسان على مستوى المسئولية ، وليتزود لآخرته لينال حسن الجزاء من اللّه، وليضع فى ذهنه أن اللّه تعالى يعلم كل شىء عنه ،وأنه جل شأنه سيحاسبه على عمله ، إن خيرا فخير ،وإن شرا فشر ،وليضع أمام عينيه قول الشاعر بالإضافة إلى ما جاء فى القرآن الكريم من توجيه حكيم فى هذا الشأن وهو الاستعداد ليوم القيامة بعمل الصالحات .

تـأهـب للـذى لا بـد منه فإن الموت ميقات العباد

أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد؟

نسأل الله السلامة ، ومنه سبحانه نستمد العون ، إنه خير مسئول وأكرم مأمول .

٢ ـ فكرة شيطانية

كان فى قديم الزمان ثلاثة رجال ،وقد اتفقوا فيما بينهم على القيام برحلة للترويح عن أنفسهم ،وأثناء تلك الرحلة وجدوا فى طريقهم كنزًا عظيماً فغمر السرور قلوبهم ، وابتهجت نفوسهم بهذا الكنز ابتهاجا عظيما،ولما كان الطعام الذى معهم قد نفد ،فقد اختير واحد منهم للبحث لهم عن طعام ، وأثناء سير من اختير للإتيان بالطعام، عرضت له فكرة شيطانية، وتتمثل فى دس السم فى الطعام لزميليه ،ليموتا ويكون الكنز من نصيبه ، وفى الوقت ذاته نبتت فكرة التخلص ممن سيأتى بالطعام لدى الزميلين ، وذلك ليستوليا على الكنز ، ويكون نصيب كل منهما أكثر ، وهكذا لعب الشيطان لعبته ، ورسم لهؤلاء الثلاثة هذا المخطط الإجرامى الرهيب،وجاء المكلف بإحضار الطعام بعد أن وضع السم فيه ، وسلّم لصاحبيه هذا الطعام ليأكلاه،وعندئذ انقضا عليه وقتلاه وأنهيا حياته ، واستعدا لتناول الطعام والسرور يغمر قلبيهما ، وبدءا فى الأكل وهما فى قمة السعادة الزائفة الملوثة ، وتفكيرهما منصب على الكنز وعلى ما يترتب عليه من ثراء لهما،ولكن للأسف الشديد تبخر حلمهما ولم يتحقق أملهما، حيث سرى السم فى جسميهما ،ولفظا أنفاسهما الأخيرة بعد

أن عانيا من شدة الآلام الناشئة عن السم الذى فى الطعام ، وماتا وتركا الكنز ولم ينتفعا به ، وكذلك مات الثالث دون أن يحصل على شىء من هذا الكنز ،وبعد فترة من الزمن مرّ أحد الحكماء ومعه بعض أصحابه على ذلك المكان الذى فيه الكنز والضحايا ، وعرفوا قصة الثلاثة الذين خططوا للاستئثار بالكنز ، وعندئذ قال هذا الحكيم لأصحابه : تلك هى الدنيا، إنها قتلت هؤلاء الثلاثة بسكين الطمع ، وبقيت هى دونهم دون أن يحققوا أملهم .

تعقيب : نستخلص مما سبق أن الطمع رذيلة ، وأن عاقبته وخيمة ، ونتائجه سيئة ، وأنه يؤدى إلى الهلاك ، وأن التفكير فيه يقود إلى الهاوية ، وللشيطان دور كبير فى هذا الشأن ، فهو الذى يزين للإنسان الانسياق وراء الطمع، ويظل يوسوس له حتى يقع فى بؤرة الهلاك ، كما حدث مع هؤلاء الثلاثة ، ولهذا يجب على الإنسان ألا تكون الدنيا أكبر همه ، وألا يطمع فى شىء فيها على حساب غيره ، وليأخذ العبرة من دروس الحياة ، وما أكثر تلك الدروس . والقرآن الكريم بين لنا أن الدنيا متاعها قليل، وأنها فانية زائلة ، وأن الإنسان فيها ضيف مرتحل ، وأنه لن يخلد فيها، وأن الآخرة هى دار القرار والخلود ،وفى يوم القيامة سيحاسب على ما حدث منه فى دنياه من خير أو شر ،وسيحدد مصيره بعد هذا

الحساب ، والقرآن الكريم بين لنا هذه الحقيقة حيث قال ربنا جل شأنه : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌ ۝١١ ﴾ [القارعة]، وحيث قال سبحانه : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ [النساء: ٧٧] .

والعاقل هو الذى يرضى بما قدر اللّه ، ويقنع بما قسمه له خالقه من رزق ،والرضا جزء من الإيمان وعنصر من عناصره الضرورية .

٣ ـ « أسئلة وإجابات »

س١ : ما الواحد الذى لا ثانى له ؟

جـ ١ :إنه اللّه تبارك وتعالى ، فهو واحد أحد ،ولا ثانى له وليس كمثله شىء وهو السميع البصير ،والقرآن الكريم قرر هذه الحقيقة التى لا شك فيها ، حيث قال ربنا جلّ شأنه :﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٤] ، وهناك آيات كثيرة فى هذا الشأن ، ومنها قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

س٢ : ما هما الاثنان اللذان يُجمع بينهما ولا بدّ من ارتباطهما ارتباطا وثيقا بحيث لا ينفك أحدهما عن الآخر ؟

جـ٢ : إنهما الشهادتان « أشهد ألا إله إلا اللّه ، وأشهد أن محمدا رسول اللّه » فهاتان الشهادتان بينهما ارتباط وثيق ولا بد من الجمع بينهما ، وهما الركن الأول من أركان الإسلام ، وكل مُصَلّ يردد هاتين الشهادتين فى الصلاة عندما يكون فى التشهد .وأيضا

يرددهما من يعتنق دين الإسلام . فلا بد من الجمع بينهما ،وهنيئا لمن يرددهما عند موته .

س٣: ما الثلاثة دون رابع أو أكثر من ذلك ؟

جـ ٣: الإجابة عن ذلك تتمثل فى رب العزة جلّ شأنه وفى الرسول عليه الصلاة والسلام ،وفى أبى بكر الصديق ﷺ ، واللّه مع الرسول وصاحبه أبى بكر حين كانا فى غار ثور مختبئيْن فيه بعيدا عن أعين الكفار عندما استعدا للقيام برحلة الهجرة من مكة إلى المدينة،والقرآن الكريم قرر معيّة اللّه للرسول وصاحبه، وذلك فى قول اللّه تعالى: ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠].

س ٤: من هم الأربعة الذين حملوا راية الإسلام بعد موت الرسول ﷺ واحدا بعد الآخر ؟

جـ٤ :إنهم الخلفاء الراشدون وهم بهذا الترتيب : أبو بكر الصديق ، وعمر، وعثمان، وعليّ ـ رضى اللّه تعالى عنهم أجمعين ـ وهم تولوا قيادة المؤمنين بعد وفاة الرسول ﷺ بأمانة وصدق

وإخلاص وحزم ، واحدا بعد الآخر ، وقاموا بواجبهم خير قيام .

س٥ : هناك خمسة فروض أمرنا الله بأدائها يومياً فما هى؟

جـ٥ :هى الصلوات الخمس ، الصبح ، والظهر ، والعصر، والمغرب ، والعشاء ،وهذه الصلوات فرضها ربنا على المسلمين ،وما عدا ذلك فسنة عن رسول الله ﷺ ،وفى يوم الجمعة يصلى المسلمون صلاة الجمعة فى المساجد بدلا من صلاة الظهر.

س٦ : ما هى الستة أيام المشهورة التى يستحب فيها الصيام ؟

جـ٦ : هى التى تعقب عيد الفطر المبارك ، وبالتفصيل من اليوم الثانى من شهر شوال وتنتهى باليوم السابع منه .

س٧ :ما الأيام البيض التى يستحب صيامها ؟

جـ٧ : إنها اليوم الثالث عشر،والرابع عشر، والخامس عشر من كل شهر عربى ، وسمِّيت بالبيض لأن القمر يكون فيها ساطع النور بقدرة الله.

س٨ : ما الأيام السبعة التى لا ثامن لها ؟

جـ٨ :إنها أيام الأسبوع وهى: السبت ،والأحد، والإثنين، والثلاثاء ، والأربعاء ، والخميس ،والجمعة .

س٩ : ما الآية التى جاءت بسبع ليال وثمانية أيام،وتسمى تلك

الإيام بالحسوم ، وفيمن ذكرت ؟

جـ ٩ : إنها تتمثل فى قول اللّه تعالى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾[الحاقة:٧] ، وذكرت الآية فى قوم عاد الذين كذَّبوا رسولهم هودا عليه السلام ، ولم يؤمنوا باللّه فانتقم اللّه منهم وأهلكوا بريح عاتية قوية ظلت سبع ليال وثمانية أيام حسوما، واللّه سبحانه وتعالى قادر على كل شىء .

س١٠ : ما هى التسع آيات التى أعطاها ربنا عزَّ وجلَّ لموسى عليه السلام ؟

جـ١٠ : إنها تتمثل فى قول اللّه تعالى فى القرآن الكريم: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ [الإسراء :١٠١] .

وبيانها كما يلى:

١ـ الطوفان . ٢ـ الجراد . ٣ـ القمّل . ٤ـ الضفادع.

٥ـ الدم. ٦ـ انقلاب العصا حية .

٧ـ إخراج موسى يده بيضاء ٨ـ حل العقدة من لسانه.

٩ـ فلق البحر . . . والقرآن الكريم تحدث عن هذه الآيات التسع فى سوره المباركة ،ومنها قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ

وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣]، ومنها: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا...﴾ [الأعراف: ١٦٠] ، ومنها: ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ [طه: ٢٠]، ومنها : ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴾[طه : ٢٢]، ومنها: ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ [طه: ٢٧]، وقد أجاب الله دعاء موسى عليه السلام وحل عقدته : ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه : ٣٦] إنها آيات تسع ، ومعجزات وأمور خارقة للعادة،أيد الله بها موسى عليه السلام لتكون دليلا على صدق دعوته، وكل رسول من قبل الله يؤيده ربه بالمعجزات لتبرهن على صدق ما يقول،والله قادر على كل شىء، وهو سبحانه لا يتخلى أبدا عن سفرائه الرسل ، فصلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

س١١: ما هى الأيام العشرة المطلوب صيامها من بعض الحجاج، وبعضها يؤدى فى الحج والبعض الآخر بعد الرجوع إلى محل الإقامة؟

جـ ١١: هى الأيام التى يصومها الحاج الذى أحرم بالعمرة ثم حج فى نفس العام ،وقد جاء القرآن الكريم بالحديث عن تلك الأيام

فى قول الله تعالى : ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

س١٢ : ما هو الشىء الذى يتنفس بدون روح ؟

جـ١٢ : هو النبات، أوهو الصبح لقول الله تعالى فى القرآن الكريم : ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ [التكوير:١٨] .

س١٣ : ما الذى يحج ويعتمر وليس من الإنس ولا من الجن ولا من الملائكة ، وليس مكلفا بالحج ولا بالعمرة ؟

جـ١٣ : ملابس الإحرام التى يلبسها الحاج أو المعتمر ، فهى تطوف معه وتسعى معه وتقف بعرفة معه وغير ذلك من مناسك الحج، وهى ليست مكلفة بحج أو عمرة ، ولا هى من الملائكة ولا من الإنس ولا من الجن .

س١٤ : ما هو القبر الذى مشى بصاحبه فى البحر ؟

جـ ١٤ :إنه الحوت الذى ابتلع يونس عليه السلام ، فبطن الحوت كان وعاءً وقبرا ليونس عليه السلام .وكان الحوت يمشى به فى البحر ، والقرآن الكريم تحدث عن ذلك حيث قال: ﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾

[الصافات: ١٤٢ ـ ١٤٤]

س ١٥ : ما أول دم أريق فى الأرض ؟

جـ١٥ :هو دم هابيل بن آدم عليه السلام ،والقاتل: هو قابيل شقيق هابيل ، وقد قتله من منطلق الحقد والحسد، والقرآن الكريم تحدث عن هذا الحادث البشع فى قول الله تعالى :﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المائدة : ٣٠] .

س١٦ : من أولئك الذين ليسوا من بطن أم ولا من ظهر أب؟

جـ١٦ : هم الملائكة: وآدم، وحواء، وإبليس .

س١٧ : ما الجماعة التى أوحى الله إليها وليست من الإنس ولا من الجن ولا من الملائكة ؟

جـ ١٧ : هى جماعة النحل ،وقد جاء القرآن الكريم بذلك حيث قال رب العزَّة جلَّ شأنه :﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[النحل : ٦٨] .

س١٨ : من المخلوق الذى مدحه الله فى كتابه الكريم ؟

جـ١٨ : إنه محمد ﷺ،حيث مدحه ربه بقوله الكريم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم : ٤].

وهو مدح جاء فى أسلوب تأكيدى ، فالآية الكريمة مبدوءة بما

يفيد ذلك ، حيث إنها جملة اسمية وهذه البداية تأكيدية، ثم إن كلمة « لعلى » بدئت باللام وهذا تأكيد ، والله تبارك وتعالى هو الذى منح محمدًا ﷺ هذا المدح فى تلك الآية الكريمة ، وهذا مما يؤكد سمو مقام الرسول وعلوم منزلته لدى ربِّه جلَّ شأنه .

س١٩ : من هو المخلوق الذى جعله الله خليفة فى أرضه؟

جـ١٩ : هو آدم عليه السلام أبو البشر الذى كرمه ربه وجعله خليفة فى الأرض وأمر الملائكة بالسجود له .

س٢٠ : من هو الذى خالف ربه ولم يمتثل أمر خالقه فحقت عليه اللعنة من الله وعاش فى غضب الله ومأواه النار ؟

جـ٢٠ : إنه إبليس اللعين ، الذى عصى ربه وتمرد ، واختار لنفسه طريق الغواية والفساد ،وقد لُعِن فى القرآن الكريم وطُرِد من رحمة الله هو ومن اتبعه ، وهذا هو القرآن الكريم يسجل لعنة الله عليه إلى يوم الدين، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الحجر: ٣٥].

س٢١ : ما هى الحاملات وقرا ، وما هى المقسمات أمرا، وما

مسكن الروح فى جسم الإنسان ؟

جـ ٢١ : الحاملات وقرا ؟، هى السحب المحملة بالمطر ، والمقسمات أمرا؟ الملائكة ، ومسكن الروح فى الجسم هو الجسم كله، فهو إطار لها وهى حالَّة فى جميع أجزائه ،فالجسم مسكن الروح .

س٢٢ : ما أول طائر تآمر مع الشيطان ضد آدم ؟

جـ ٢٢ : هو الطاووس .

س٢٣ : ما ذا تقول الحيوانات حين نسمع صوتها ؟

جـ ٢٣ : إنها تسبح اللّه تعالى ،وكل شىء يسبح بحمد اللّه من هذه الحيوانات وغيرها ، والقرآن الكريم أكد هذه الحقيقة وقرر هذا المعنى فى قول اللّه تبارك وتعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤] .

س٢٤ : ما الشجرة التى لها اثنا عشر غصنا ؟

جـ ٢٤ : هى السنة التى تتكون من اثنى عشر شهرا .

س٢٥ : ما الغصن الذى به ثلاثون ورقة ؟

جـ٢٥ : إنه أيام الشهر وهى ثلاثون يوما فى الغالب .

س٢٦ : ما الزهرات الخمس ؟ وما التى منها فى الظل والتى منها فى الشمس ؟

جـ ٢٦ : هى الصلوات الخمس : الصبح، والمغرب، والعشاء فى الظل ، أما الظهر، والعصر ففى الشمس .

س٢٧ : ماذا كتب على القبر دون رؤية ما هو مكتوب ؟

جـ ٢٧ : مكتوب على القبر : ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠] .

س٢٨ : ما الثلاث صرخات التى يطلقها الميت ؟

جـ٢٨ : الصرخة الأولى: على ماله ، والصرخة الثانية: على داره ، والصرخة الثالثة: على أهله .

س٢٩ : ما هى الآية الكريمة التى تدل على تنوع مذاق الفاكهة مع أنها متجاورة وتسقى بماء واحد ؟

جـ٢٩ : هى قول الله تعالى: ﴿ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: ٤].

س٣٠: ما معنى كلمة« أبًا » فــى القــرآن الكريم « وفاكهة وأبًا» ؟

جـ ٣٠: الأبّ :المرعى،وقيل : التين .

٤ ـ الحسد من أسوأ الرذائل

الحسد صفة قبيحة مذمومة ، وقد نهى اللّه تبارك وتعالى عن الحسد ، ومن شأن المؤمن إلا يلوث قلبه بهذه الرّذيلة ، وألا يشوّه عقيدته بعدم الرضا بما قدر اللّه ، والذى يعيش فى جو الحسد هو إنسان غير سوى، إنسان لديه طمع ، إنسان حقود ، إنسان غير راض بما قسم اللّه له ،ولا شك أن الرضا بما قدّر اللّه عنصر من عناصر الإيمان ، فعلى المؤمن أن يتحلى بفضيلة الصبر، ويرتدى ثوب الرضا والقناعة ،ويرضى بالقدر خيره وشره ، حلوه ومره ، وهو إذا لم يرض فإنه يفقد هذا العنصر الإيمانى ،ويسىء الأدب مع ربه .

والحسد معناه تمنى زوال النعمة عن الغير، فمن رزق سعة فى المال أو الولد ، ومن أعطاه اللّه نعمة العلم أو الصحة ،أو سمو المنصب أو غير ذلك مما قدره اللّه له ؛ من أعطى شيئا من ذلك فهذا تقدير اللّه وذاك حكمه ،ولا اعتراض على ما قدر اللّه وحكم به ، وإذاً لا يليق بمن حرم شيئا من ذلك أن يمتلئ قلبه حسدا وحقدا ، ويتمنى زوال النعمة عمن أرادها اللّه له ، لأن هذا نظام ربانى ، ووراء هذا النظام الخير ، ثم إن الحاسد لن يستطيع تغيير ما قدره

الله، وهو بحسده سيعيش فى قلق نفسى، وضعف إيمانى ، واكتئاب ضار ، وضجر وعدم استقرار ،وما أحسن تلك الأبيات الشعرية التى جاءت فى هذا الشأن، والتى فيها توجيه لمن يحسدون الناس على ما آتاهم اللّه من فضله ،وتلك هى الأبيات المعبّرة النافعة التى َفيها توجيه وإرشاد :

ألا قل لمن بات لى حاسدا

: أتدرى على من أسأت الأدب؟

أسأت على اللّه فى حكمـه

لأنك لم ترض لى ما وهب

فكـان جــزاؤك أن زادنـى

وأوصد دونك باب الطلب

أجل فالحسد إساءة أدب على اللّه فى تقديره ،وهو سبحانه العالم بما فيه مصلحة الإنسان ،وهو يعطى هذا ويحرم ذاك ، لحكمة ربانية،وهو صاحب التصرف فى خلقه ، فهذا غنى وذاك فقير،وهذا صحيح الجسم .وهذا عليل ،وهذا طويل وذاك قصير، وهذا جميل وهناك من هو دميم . . إنه النظام الإلهى المبنى على الحكمة ،وصدق ربٌ العزّة حيث قال فى القرآن الكريم: ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي**

الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران:٢٦] .

وهل الحاسد سيغير شيئا من مشيئة اللّه ؟وهل هو سيُسَيِّر الكون على هواه ؟ وهل لديه قدرة على التدخل فى مشيئة اللّه؟ إنه لن يستطيع أن يتدخل فى تنظيم ملك اللّه ، وهو إنسان ضعيف ضعيف، وليعلم هذا الإنسان الحاقد الحاسد أن ما قضى به اللّه فيه الخير ، وليتمعَّن فى قول اللّه تعالى :﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢١٦] وفى قوله تعالى: ﴿ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء :١٩] .

وما دام الأمر كذلك ، وأن كل شىء فى هذا الكون بقضاء وقدر، فليكن الرضا حِلْيَة المؤمن فى كل الأحوال ،وليسلم الأمور للّه تبارك وتعالى ، لأنه صاحب التصرف فى ملكه ، ولا يُسأل عما يفعل والخلق هم المسئولون أمام اللّه تبارك وتعالى ، وسبحانه من إله عظيم ،ورب كريم .

٥ـ اختبار يؤكد حقيقة

حكى الهيثم بن عدى ، قال: ذهبت مع الإمام أبى حنيفة ﵁ ـ فى جماعة من أصحابه إلى عيادة رجل مريض من أهل الكوفة، وكان هذا المريض معروفًا بين الناس بالبخل ، وقد اتفقنا على أن نعرّض له بالغداء ،فلما دخلنا عنده وأدينا حق العيادة ، قال أحدنا موجها الكلام إلى هذا المريض: ﴿ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ﴾[الكهف :٦٢] .وبعد أن سمع المريض ما قاله صاحبنا ، تمطى وقال ردا على ما سمع: ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٍ ﴾ [التوبة :٩١] . وهنا قال أبو حنيفة لأصحابه ، قوموا فما لكم هنا من فرج .

تعقيب يستخلص من هذه الحكاية أن هذا المريض ـ وقد شاع بين الناس بخله ـ قد أكد حقيقة ما يتصف به من بخل شديد ، ومن خلال هذا الاختبار أقنع الحاضرين بأنه ليس مستعدا لتقديم ما طلبوا منه ،لأنه لو قدم إليهم الطعام لخرج عن الخط الذى رسمه لنفسه ، وهو ارتداؤه لباس البخل ، ولكنه كان ذكيا فى رده ، حيث استشهد

بآية قرآنية مقنعة ، فكان هذا وذاك فى ظل الجو القرآنى، مما أضفى على المجلس جوّا قرآنيا ذا بهجة ومسرات . . ولكن الإسلام وقد ربانا على الفضائل - يريد من أتباعه أن يكونوا كرماء لا بخلاء ، لأن الكرم فضيلة ، والبخل رذيلة ،ثم إنه حين أمرنا ديننا بالكرم ، فإنه يوجهنا إلى عدم الإسراف ،ويطلب منا ألا نلجأ إلى التبذير ، إذ أن الإسراف رذيلة ،والتبذير مذموم ، وخير الأمور الوسط ، والمثل يقول : جد بالموجود إن الكرم فى حدود الاستطاعة مطلوب ومحبوب،وهو فضيلة من الفضائل الإسلامية، ولقد كان رسول اللّه ﷺ يضرب به المثل فى ميدان الكرم ولكن دون تكلف وبلا إسراف، وقد قيل عنه ﷺ : إنه أجود بالخير من الريح المرسلة، أما البخل فهو صفة ذميمة ، والله تبارك وتعالى أكرم الكرماء ، وأسخى الأسخياء، ومن أسمائه - جلّ شأنه - الكريم ،ولذا فكرمه سبحانه وتعالى بلا حدود ، لأنه الربّ وهو مسدى النعم إلى خلقةَ دون انقطاع ، حتى ولو كان من يسدى إليهم نعمه يتصفون بالكفر والجحود وعدم عبادتهم له .

إن كرم اللّه شامل ، وسخاءه ممتد إلى جميع الخلق ،فسبحانه

من إله عظيم كريم رحيم ، ونحن ـ المسلمين ـ يجب علينا أن نتحلى بفضيلة الكرم ولكن فى حدود الطاقة ، وبلا إسراف ولا تقتير ، وخير الأمور الوسط ،ودين الإسلام دين الوسطية ،دين السماحة ، دين الخير ، الدين الصالح لكل زمان ومكان .

٦ـ الدين النصيحة

نعم « الدين النصيحة » والنصيحة مرآة الأمة ، وبها تسود الفضائل ،ويرقى المجتمع ، وتتقلص الرذائل ، وعن طريق النصيحة الخالصة الصادقة يكون التقدم الإنسانى ،والمستقبل الباسم للأمة ؛ وباختفاء النصيحة يكون العكس ،ويحدث الخلل فى مسيرة الحياة ، والاضطراب فى جميع نواحيها ، ومن هنا كان لا بد من النصيحة ،ومن الضرورى أن يعيش المسلمون تحت مظلتها، والرسول صلوات الله وسلامه عليه قرر فى حديث شريف بأن النصيحة لها أهميتها الكبرى فى مجتمع الإسلام ،بل إنه أخبر أمته بأن الدين النصيحة ، وذلك فى قوله عليه الصلاة والسلام «الدين النصيحة ، قلنا: لمن يا رسول الله ؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » [مسلم] .

وجاء عن جرير بن عبد الله ﷺ قال: « بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ،والنصح لكل مسلم » [متفق عليه].

وهكذا تحتل النصيحة المكانة الكبيرة فى الإسلام ، ولكن إذا وجهت النصيحة فلتكن صادرة من قلب طاهر ، ولسان عف، وبأسلوب غير منفر ،وبطريقة لا تؤذى المشاعر ، وليكن الهدف منها

مصلحة الفرد والمجتمع، وليس الهدف منها التشهير والإساءة والازدراء .

إن الإسلام حصّن النصيحة وجعل لها مواصفات لكى تؤتى ثمارها وتنفع المجتمع ، وإذا كان الأمر كذلك ، كان للنصيحة الصدى الجميل، والأثر الفعّال ، والنتيجة الطيبة المرجوة ،وما أحسن إسداء النصيحة على انفراد بعيدا عن الجماعة ، إذا كانت ستقدم إلى شخص أو أشخاص ،لأنها إذا قدمت أمام جماعة من الناس ، فإنها تأتى بنتيجة عكسية ، وتلك نصيحة لناصح وهى شعرية ولها أثرها العظيم لمن يسمعها .

تغمدنى بنصحك بانفرادى

وجنبنى النصيحة فى الجماعة

فإن النصح بين الناس نوع

من التوبيخ لا أرضى استماعه

إن النصيحة إذا كانت على هذا النسق وبهذه الصورة ، فإنها لا تخدش الكرامة ،ولا تجرح المشاعر ،ولا تؤذى الأحاسيس ، وتقع موقعا إيجابيا ممن يتلقاها ،ويكون لها الأثر العظيم لدى الأفراد والمجتمع .

٧ـ الأعياد الخمسة

قال أنس بن مالك ﷺ: للمؤمن خمسة أعياد :

العيد الأول: كل يوم يمر على المؤمن ويصون فيه نفسه من اقتراف الذنوب ، ويؤدى واجبه نحو ربه ونفسه وأهله ومجتمعه ، وتكون مسيرة حياته فى هذا اليوم مسيرة طيبة ترضى الله ، فإن هذا اليوم الذى يكون فيه المؤمن بهذه الصورة الطيبة يوم عيد عظيم.

العيد الثانى: اليوم الذى يخرج الإنسان المؤمن بربه من دنياه بالإيمان القوى والشهادتين والعصمة من كيد الشيطان والانتصار عليه بالمعرفة الحقيقية بالله تبارك وتعالى. إن هذا اليوم الذى يكون بهذه الصورة الطيبة لهو يوم عيد وفرح وسرور .

العيد الثالث: هو اليوم الذى يجاوز الإنسان فيه الصّراط يوم القيامة ،ويأمن من أهوال يوم القيامة ،ويخلص من أيدى الخصوم والزبانية ،ويجد نفسه فى موكب ملائكى إلى الجنة والنعيم الربانى فيها ، إنه حينذاك يكون فى يوم عيد حقيقى .

العيد الرابع : إنه اليوم الذى يتحقق فيه قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] ويجد المؤمن هذا القول الربانى حقيقة ، ويحظى بالنظر إلى ربه الذى رضى عنه

لحسن مسيرته فى حياته الدنيوية ، إن هذا اليوم الذى ينظر فيه إلى خالقه لهو يوم عيد .

العيد الخامس : هو ذلك اليوم الذى يجد نفسه جالسا على أرائك الجنة ، متمتعا بما فى جنة اللّه من ألوان النعيم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ،ولا خطر على قلب بشر ، ثم هو قد وقاه ربه من النار وأهوالها ، وحفظه من شرها وعذابها ، إن هذا اليوم لهو أنفس الأيام وأغلاها ، وأعظمها وأسماها ، وهو يوم عيد حقيقى ، يوم مبارك عظيم .

تلك هى الأعياد الخمسة التى يعيش المؤمن فى ظلها الظليل، ويحس فيها بالسعادة الحقيقية التى لا حدود لها ، ويجد فيها حسن المستقبل والحياة الدائمة فى جنات تجرى من تحتها الأنهار ، وما أعظم تلك الأعياد ، لأنها تحمل البشائر الإلهية إلى المؤمن ،وفيها تتجسد الحياة الخالية من الشوائب ، البعيدة عن المكدرات ، المليئة بالبهجة والسعادة ، وما على المؤمن لكى يحقق هذا الهدف العظيم،إلا أن يكون مثاليا فى حياته الدنيوية ، مثاليا فى عقيدته الإيمانية ،مثاليا فى تنفيد أوامر ربه واجتناب نواهيه بكل دقّة ، مثاليا فى أخلاقه الطيبة، مثاليا فى تعامله مع اللّه ومع غيره من خلق اللّه . .إنه ـ والحال هذه ـ يصل إلى أسمى غاية فى أخراه ، ويفوز بالثواب الربانى العظيم ، فى جنات أبدية ونعيم خالد ورضا إلهى ، فهنيئا لمن عاشوا فى ظل تلك الأعياد الخمسة ، وطوبى لهم وحسن مآب .

٨ ـ عظات وعبر

قال الشاعر « أبو نواس » .

نموت ونبلى غير أن ذنوبنا
إذا نحن متنا لا تموت ولا تبلى
ألا رُبَّ ذى عينين لا تنفعانه
وما تنفع العينان من قلبه أعمى

إنه لشعر هادف ، وفيه عظات وعبر ، ولنتأمل كلمة « نموت » فهى تحمل الزجر لأهل الغفلة ، وتوقظ من يعيشون فى ظل الأمية الفكرية ، وقد ذكرت هذه الكلمة وهى « نموت » مبدوءة بنون الجمع ، لتقرر أن جميع الخلق لا بد من موتهم ، وأن كل ما سوى الله مصيرهم الهلاك والزوال ، ويؤكد تلك الحقيقة قول ربِّ العزة جلَّ شانه : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨] فكل ما خلق الله إلى هذا المصير ، وكل شىء عداه سبحانه لا بدّ له من الفناء ، وقانون الموت قانون عادل ، وكل قوانين اللّه عادلة ، وهذا هو أشرف الخلق محمّد ﷺ طبق عليه قانون الموت ، وقد نعاه اللّه وهو لا يزال على قيد الحياة ، وأخبره بطريق التأكيد بأنه سيموت ، وأن غيره من الخلق سيموتون ، دون مجاملة ، وبلا استثناء ، وهذا هو قول

اللّه تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر: ٣٠] وقد مات الرسول ومات غيره ونفّذ القرار الإلهى وسيظل ينفّذ دون توقف حتى تنتهى الدنياكلها ،وهكذا يطبق القرار الربّانى على جميع الخلق أينما كانوا وحيثما وجدوا،وصدق ربُّ العزَّة حيث قال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

والإنسان بناءا على هذا القانون الربانى يموت ويبلى،ولكن ذنوبه التى اقترفها فى حياته لا تموت ولا تبلى ،لأنها مسطرة فى سجلات الملائكة،ومدونة لدى اللّه تبارك وتعالى،ويوم القيامة تتطاير تلك الكتب الربَّانية ،وبقدرة اللّه يصل كل كتاب إلى صاحبه دون أن يكون هناك خطأ ،وبقدرة اللّه أيضاً يقرأ الإنسان ما دوّن فى كتابه ، ويصير قادرا على القراءة حتى ولو كان فى دنياه أميًا ، وهذا هو القرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة ويؤكدها ،وذلك فى قول اللّه تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۝١٣ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾

[الإسراء: ١٣، ١٤]

إنه النظام الربانى المحكم والذى لا يماثله نظام آخر فى دقته ، وإنها القدرة الإلهية التى لا حدود لها ولا عوائق تقف فى طريقها، فسبحانك ربى سبحانك ، إنك على كل شىء قدير ،وأنت المحيط

علمك بكل شىء .

ثم إن البيت الشعرى الثانى لأبى نواس يلفت عقولنا وأنظارنا إلى شىء يجب أن نعيه ونقدره ، وهو أن الإنسان قد يكون حاد البصر ، صحيح العينين ، ولكنه أعمى العقل ،مسلوب المعرفة، ونتيجة لهذا يتخبط فى حياته ، ويتعثر فى مسيرته ، ويفعل ما يضره ويؤذيه ،ويتصرف تصرفات سيئة ،مع أنه يتمتع بعينين نجلاوتين ، ولكن عقله عليه غشاوة الجهل ، وقلبه خال من المعرفة،ولذا فعيناه لم تحفظاه من الزلل ، ولم تبعداه عن الضرر ، فكأنهما غير موجودتين ، وبالتالى لا نفع فيهما ولا ثمرة، والعاقل هو من يحافظ على نعمة العقل، وينميها بكل نافع من فروع العلم والمعرفة ،ولا يعرّض هذه النعمة الكبرى إلى ما يضرُّها ويعطل وظيفتها ، ولنحمد اللّه حمدا كثيرا على نعمه الظاهرة والباطنة ، وبحمدنا لربنا يزيدنا اللّه من فضله ، ويبارك لنا فى نعمه ، ولا يحجب عنا خيره ، وهو سبحانه أرشدنا إلى حمده وشكره حيث قال جلَّ شأنه : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

إن نِعَمَ اللّه علينا كثيرة لا تعد ولا تحصى ،ونحن نعيش فى ظلها صباح مساء ، وهذه النعم لم يحرم اللّه منها أحدا من خلقه، حتى ولو كان الإنسان كافرا بربه ، فإنه يعيش فى ظلِّ تلك النعم ، لأنه سبحانه متصف بالرحمة، ومن هذا المنطلق كانت النعم عامة وليست

خاصة، وشاملة جميع الخلق دون استثناء ، فسبحانه من إله رحيم ، ورب كريم عظيم . ونحن كمؤمنين نشكر اللّه على فضله ، ونقدم لذاته الكريمة أسمى آيات الحمد والثناء.

٩- مسئوليات وأعباء

هذا هو عمر بن العزيز خامس الخلفاء الراشدين ، إنه ذلك الرجل الورع ، العادل الزاهد ،الذى حين أسندت إليه الخلافة أحس بعظم أعبائها ، ولذا كتب إلى الحسن البصرى يقول له : إنى قد ابتليت بهذا الأمر ، فانظر لى أعوانا يعينونى عليه ، فأجابه الحسن البصرى بقوله: أما أمناء الدنيا فلا تريدهم ، وأما أمناء الآخرة فلا يريدونك ،فاستعن باللّه .

هذا هو عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين ، الذى اتصف بالورع والزهد والعدل والخوف من اللّه ، والذى اختير ليتولى أمور المسلمين ،ويقوم بالإشراف على شئونهم ،والعمل على تحسين أمورهم وأحوالهم ، ورفع المعاناة عنهم ، ونشر العدل بينهم . ولما كان الأمر كذلك ،ووجد الخليفة ما ينتظره من مسئوليات وأعباء ، وما حُمل به من أمانة نحو الرعية ، فإنه اعتبر ذلك ابتلاءا ابتلى به وامتحانا شديدا عليه،ولهذا كتب إلى الحسن البصرى ليعاونه بالرأى والمشورة ،ويطلب منه أن يختار له أعوانا يعينونه على حمل تلك الأمانة، ويساعدونه فى تذليل الصعاب ، ولماذا كتب إلى الحسن البصرى دون غيره؟ لأنه من العلماء الأجلاء المشهود له بالفضل ، وهو من الصلحاء الأتقياء ، والرجال الفضلاء ، وله صيته الذائع ،

وشهرته الواسعة، ولذا فهو خير من يستشار ،وأفضل من يؤخذ رأيه، وبماذا أجابه الحسن البصرى؟ إنه قال له : أما أمناء الدنيا فلا تريدهم ، بمعنى أن من يحبون الدنيا ويتفانون فى حبها، ويسعون من أجل مصالحهم ، ويؤثرون أنفسهم على غيرهم ، فهم لا يكونون محلا للتعاون معك، ولهذا فأنت لا تريدهم ، ولا تطمئن إليهم ، وأما أمناء الآخرة فهم لا يريدونك أن تكون فى هذا الموقع الدنيوى ، وإذًا فلا هؤلاء ولا أولئك يصلح الاعتماد عليهم ، ومن هنا كان الاعتماد على اللّه أوجب ، والاستعانة بالخالق العظيم ألزم ، واللّه هو المعين ،وهو نعم المولى ونعم النصير .

إنها النصيحة الخالصة الصادقة ، التى لا غش فيها ولا رياء ولا مداهنة، وهى صادرة من أعماق القلب، نابعة من حنايا الفؤاد،ولهذا فهى بعيدة عن التشويه ،لأنها للّه ومن أجل اللّه،ومن هنا كان لهذه النصيحة النفيسة من ذلك الرجل العالم الورع أعظم الأثر فى نفس عمر بن عبد العزيز ، وأطيب الوقع فى قلبه،وقد اعتمد هذا الخليفة على ربّه،وطلب العون من خالقه، وكرّس حياته على إصلاح حال الرعية ،وقام بواجبه خير قيام ، من منطلق الخوف من اللّه ،والعمل على رضاه، وقد نجح فى أداء الأمانة ،وأدى واجبه أحسن ما يكون الأداء ، ولهذا كان جديرا بالحب من اللّه وحسن الثناء من الرعية. . .إنه ﷺ لم تفتنه الدنيا بمباهجها ،ولم يتأثر بمفاتنها ، ولم

يعش فى جو بريق المنصب، وأبهة ذلك المركز ، وإنما عاش فى جوالعدل والزهد، والأمانة والصدق، والإخلاص والخوف من الله، وكانت فترة خلافته فترة ذهبية ، سجلها التاريخ بمداد الإعجاب والإكبار ،ودونها الزمان فى كتاب الفضائل الساطع الأنوار .

١٠ـ إبليس فى همٍّ وغمٍّ

قيل عن أحد الصالحين من عباد الله تعالى : إن إبليس اللعين ظهر له فى صورة شخص يعرفه ، فإذا هو نحيل الجسم، مصفر اللون، باكى العينين، فقال له هذا الرجل الصالح : ما الذى أبكى عينيك ؟فرد عليه قائلا له : خروج الحاج إليه بلا تجارة، فقال له: ما الذى أنحل جسمك؟ قال : صهيل الخيل فى سبيل اللّه، ولو كانت فى سبيلى كانت أحبّ إلىّ ، فقال له: فما الذى غير لونك ؟ قال: قول العبد لربه، أسألك حسن الخاتمة .

هذا هو إبليس اللعين ، إنه يحاول بشتى الوسائل ومختلف ألوان الإغراء ، أن يضل الإنسان ويبعده عن طريق الحق والصواب وسبيل النور،وهو يعمل جاهدا على أن ينجح فى غواية المؤمن ، وصرفه عن طاعة ربه، واحتوائه ليعيش فى دائرة العصيان ،ووحل الذنوب والسيئات ،وعفن الموبقات والمنكرات، وظلمات الشرور والآثام . . . هذا هو شأن إبليس اللعين ،وتلك هى حال عدو اللّه وعدو المؤمنين ، إنه يحمل ـ ومعه أعوانه ـ سلاح الوسوسة والشرّ،ويبذل كل ما فى وسعه على إضعاف العقيدة الإيمانية لدى المؤمن ، ويعمل بشتى وسائل الإغراء على ارتكاب المؤمن ما يغضب الله من الذنوب ، ليبعده عن الاستظلال بظل الإيمان، ويخرجه من

جو الطاعة إلى جو العصيان، هذا هو الهدف الإبليسى، وتلك مآرب هذا اللعين المغضوب عليه من الله ، وهو لا يفتأ يعمل بجميع الأسلحة فى هذا الميدان الشيطانى،ولكن لا يستجيب له إلا من ضعف إيمانه ،ولديه الاستعداد النفسى للاستجابة ، أما أقوياء الإيمان فلا استجابة من جانبهم له ، لأنهم يعرفون حق المعرفة أنه عدوهم اللدود ، ولأن حواجز العقيدة الإيمانية فى قلوبهم تحول بينهم وبين الوقوع فى وهاد المعاصى، ولهذا فإنه يكون فى حزن عميق إذا فشل فى مخططاته ، ولم يحقق مآربه الدنيئة ، وأهدافه السيئة، ويشتد حزنه أكثر وأكثر، حين يرى المؤمن مقبلا غير مدبر على ربه بالطاعة، تائبا إلى الله إذا حدث منه تقصير فى العبادة، نادما كل الندم حين يغفل ولو قليلا عن أداء الواجب نحو اللّه ، باكيا على عمر أمضى حينًا منه فى ارتكاب بعض السيئات، طالبا من خالقه فى تضرع وذلة غفرانه.

فيأيها المؤمن : أفق من غفلتك ، وأقل عثرتك ، وأقبل على عبادة ربك، وحارب عدوك الشيطان ،وضع فى ذهنك دائما أنه كما قال الله عنه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر :٦].

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) ﴾ [النور :٢١] .

إنه العدو الذى لا يلقى سلاحه ،وهو يشهره دائما فى وجوه المؤمنين ، ولديه كثير من وسائل الإغراء وأساليب الوسوسة ،وهو يجول ويصول فى أرض المؤمنين ، وأعوانه منتشرون فى كل مكان من ديار المسلمين ، ويقومون بوظيفتهم الشيطانية على أتم وجه،فلتكن أيها المؤمن على حذر من عدوك، وإياك أن تستسلم له، وحذار أن تكون من حزبه، أو تضعف أمام وساوسه وضع فى ذهنك دائما أن حزب الشيطان خاسر كل الخسارة ، وأن هذا الحزب سيعاقب أشد العقوبة من اللَّه،لعدم مقاومة هذا العدو، وللارتماء فى أحضانه ، ولترك طريق الإيمان طريق النور إلى طريق الظلمات والسير فى نفق المعاصى والأوحال .

أخى المؤمن:تذكر دائما أن عدونا فى حرب مستمرة ضدنا، وتلك هى وظيفته التى اختارها ،ونبغ فى ميدانها ، واستمع دائما إلى ما جاء فى القرآن الكريم من سوء عاقبة من سار فى فلك الشيطان الرجيم ، وسلَّم له زمام أمره ،ووقف عاجزا أمامه ولم يقاومه ولم يفسد عليه خططه الشريرة وأساليبه الملتوية ، وإليك ما جاء به القرآن الكريم فى هذا الشأن ﴿ **اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾

[المجادلة :١٩]

١١- رثاء فى رسول الله ﷺ

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا

وكنت بنا براً ولم تك جافيا

وكنت رحيما هاديا ومعلما

لِيَبْكِ عليك اليوم من كان باكيا

لعمرك ما أبكى النبىّ لفقده

ولكن لما أخشى من الهرج آتيا

إنه الرثاء الخالص الصادق النابع من أعماق القلب ، وهو يعبّر تعبيراً وافيّا عن مدى الحب الكبير لرسول الله محمد صلوات اللّه وسلامه عليه ،ويبرهن بما للرسول من رصيد كبير من حب القلوب الإيمانية له ، ولهذا فالفجيعة فيه بعد وفاته كبيرة كبيرة ، وكيف لا؟ فهو سفير الله إلى خلقه ، وهو حامل لواء الدعوة الإيمانية إلى الإنسانية ، إنه جاء برسالة الإسلام وهى للعالم أجمع، وهو قائد الخلق إلى السير فى طريق النور ،نور العقيدة الصحيحة ، والفضائل السامية ، والقيم ، والأخلاق العالية الكريمة.

إنه عليه السلام الرحمة المهداه من اللّه إلى خلق اللّه،والنعمة المسداة إلى الإنسانية جمعاء. وهو النور الوهاج الذى يضىء الطريق أمام

الحائرين، وينير السبيل أمام الضالين ليصححوا مسيرة حياتهم التى اعوجت ، ويعطروها بالعقيدة الإيمانية والسلوك السوى، والخلق الفاضل والخلال الحميدة . . . والقرآن الكريم بيّن فى آية منه أن الرسول صلوات اللّه وسلامه عليه نور من اللّه وذلك فى قول اللّه تبارك وتعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: ١٥] ، فالنور هو محمد ﷺ ، الذى به بدّد اللّه جرائيم العقائد الفاسدة ، وهدى به أناسا كانوا يتخبطون فى حياتهم، ويسجدون لأصنام لا تضر ولا تنفع، والكتاب المبين هو القرآن الكريم الذى أنزله اللّه على رسوله عليه الصلاة والسلام، وجاء به جبريل سفير الوحى إلى هذا الرسول العالمى الذى أشاد اللّه بأخلاقه فى هذا الكتاب العظيم ، وهكذا نجد النور مقرونا بكتاب اللّه تعالى ومرتبطا به ، ولهذا جاء القرآن الكريم ليقول : ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

[المائدة : ١٦]

إن الرسول صلوات اللّه وسلامه عليه هو رجاؤنا ، وهو البار بنا ،ولذا فهو شفيعنا يوم لقاء ربنا ، وهو صلوات اللّه وسلامه عليه لم يكن فى يوم من الأيام جافيا بالأمة ، ولا متكاسلاً عن أداء واجبه نحوها، وإنما كان رحيما بها، وهاديا لها ، ومعلما وناصحا وقائدا إلى طريق الخير وسبيل الرشاد . ولذا بكاه الناس حين انتقل إلى جوار

ربه ، ونعاه المؤمنون بقلوبهم وألسنتهم ،والبكاء عليه صلوات اللّه وسلامه عليه لم يكن على فقده فحسب ،وإنما كان خوفا مما سيحدث بعد موته من هرج، وما ينشأ عن وفاته من فراغ كبير فى الساحة الإيمانية ، ونحن المسلمين نؤمن بقضاء اللّه وقدره ،والموت حتم لا مفرّ منه ، وربنا أخبر رسوله بعاقبته ،وأنه سيغادر دنياه ، وكل الخلق إلى هذا المصير ، وما دام الأمر كذلك ، كان لا بد من التسليم بما قدره اللّه تعالى .

إن رسول اللّه ﷺ قد أدى الأمانة ، وبلّغ الرسالة، وجاهد فى اللّه حق جهاده ، وأبلى بلاءا حسناً فى ميدان الدعوة الإيمانية، وهو لم يكن فى يوم من الأيام متوقفا عن أداء واجبه ، ولا متكاسلا عن تبليغ الرسالة،مع أنه عاش فى جو قاتم وهو يدعو إلى اللّه ، ووُجّه بحملة ضارية من قبل الكفار ، وحروب شرسة من جانب أعداء اللّه، ومع هذا لم تلن له قناة، ولم يتراجع أو يضعف ، وما وهن وما ضعف وما استكان، وإنما كان الصبر ديدنه، والقوة المعنوية شعاره، ولذا انتصر النصر المؤزر .

١٢ـ الدعاء لون من ألوان العبادة

أمرنا اللَّه تبارك وتعالى بعبادته حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)﴾ [البقرة :٢١، ٢٢] .

وحيث قال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) ﴾ [الذاريات:٥٦، ٥٧] إنه الأمر الإلهى الكريم لعباده الذين رباهم على موائد كرمه،بأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، لأنه خلقهم جميعا بقدرته،وأسدى إليهم نعمه، ورعاهم فى مسيرة حياتهم دون انقطاع، والعبادة ذات ألوان كثيرة، وهى على كثرتها ليست فوق طاقة الإنسان،وإنما هى فى مقدوره وحسب استطاعته ،وربنا قرر هذه الحقيقة فى القرآن الكريم حيث قال جلَّ شأنه : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦] ومن ألوان العبادة الدعاء ،والدعاء مخ العبادة ، ودليل على افتقار العبد إلى ربه سبحانه على أن الذى يستكبر عن عبادة اللَّه ومنها الدعاء، فإنه سيجد الذلة والهوان يحيطان به ،وأنه يعرّض نفسه لغضب اللَّه، وشديد عقابه، وعذابه) ولنستعرض بعض ما جاء فى كتاب اللَّه تعالى

عن الدعاء، وصدق سبحانه حيث قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة : ١٨٦]

وقال جل جلاله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر : ٦٠] .

وهكذا نجد القرآن الكريم يحث على الدعاء للّه ، وهو جلَّ شأنه أمر المؤمنين بأداء هذا اللون من العبادة ،والدعاء يمثل الصلة بين المخلوق وخالقه ،والرجاء من العبد لربه، واللّه سبحانه وتعالى قريب كل القرب من خلقه ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤] والدعاء مطلوب فى كل وقت ولا سيما فى الأيام الطيبة المباركة ، والليالى الفاضلة وخاصة فى وقت السحر ، واللّه تبارك وتعالى يجيب دعاء الداعين ، ويحقق آمالهم الخيّرة ،وهناك أوقات يستجاب فيها الدعاء من اللّه ، وتفتح لاستقبالها أبواب السماء ومن هذه الأوقات ذات التجليات الإلهية،الثلث الأخير من الليل وهو ما يسمى بوقت السحر، ووقت إفطار الصائم ، وبين الأذان والإقامة وحين سجود المسلم فى صلاته ، وأثناء السفر والمرض.

وللدعاء شروط لا بد منها لكى يستجاب من اللّه ،وهى التضرع والخوف من اللّه ، والمداومة والرجاء ، والخشوع والصوم ، وتناول الأكل الحلال،والبعد عن أكل الحرام، وبتحقيق هذه الشروط، وتلك

المواصفات يقبل اللّه الدعاء ، ويحقق الرجاء ، ويكون الخير من اللّه تعالى. . واستجابة الدعاء له مسارات ثلاثة :

١ـ المسار الأول : يحقق اللّه للداعى ما طلب من رفع بلاء ، أو تحقيق رجاء .

٢ـ المسار الثانى : يدفع اللّه عن الداعى شرّا كان سيلحق به .

٣ـ المسار الثالث : يدخر اللّه للداعى ثمرة دعائه ، ويحقق له ما دعاه فى آخرته ،وهذا المسار أفضل المسارات وأعظمها ، والنتيجة المدخرة فى الآخرة أفضل وأبدع ، ولهذا حين يجد المؤمن ثمرة دعائه فى الآخرة فإنه يتمنى آنذاك أن تكون ثمرة دعائه فى الآخرة بدلا من الدنيا ،وقد يقول قائل: أنا أدعو اللّه تعالى وأتقرب إليه كثيرا بهذا اللون من الدعاء ،ولكن لم يحقق اللّه لى ما رجوته منه ، وأقول لهذا القائل : بأنه قيل لإبراهيم بن أدهم ـ وهو من عباد اللّه الصالحين ، ما بالنا ندعوا الله تعالى فلا يستجاب لنا ؟ فكان ردُّ هذا الرجل الصالح على السائل قوله :

١ـ لأنكم عرفتم اللّه ولم تطيعوه .

٢ـ وعرفتم الرسول ولم تتبعوا سنته .

٣ـ وعرفتم القرآن الكريم ولم تعملوا به .

٤ـ وأكلتم نعم الله ولم تؤدوا شكرها .

٥- وعرفتم الجنة ولم تطلبوها .

٦- وعرفتم الموت ولم تستعدوا له .

٧- ودفنتم الأموات ولم تتعظوا .

٨- وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس.

٩ـ وقلتم: إن النار حق ولم تهربوا منها .

١٠ ـ وقلتم: إن الشيطان عدوكم ولم تخالفوه .

تلك عشرة كاملة وهى واضحة كل الوضوح ، ولكن للأسف الشديد لا يستحضرها الداعى وقت دعائه ، ولا يفكر فيها مع أنها ذات أهمية كبرى فى حياة الإنسان.

إن قول إبراهيم بن أدهم قول واقعى ، وهو يشخص الداء تشخيصاً رائعا ، ويتحدث عن سبب عدم إجابة الدعاء ،ويبين لنا أن الدعاء لا بد أن يكون مرتكزا على المعرفة الحقيقية باللّه ، والقيام بأداء الواجبات بإخلاص وصدق ،وأمانة للّه ، والبعد عن كل ما نهى الله عنه ، ولا شك أننا نعيش فى زمن ضعفت فيه النفوس، ولوثت بدنس المعاصى، وإذاً كان لا بد من مصالحة حقيقة من جانب كثير من الناس مع الدين ، وكان من الضرورى أن تراجع هذه الكثرة من خلق اللّه مسيرة حياتها ، وتعالج الأمراض التى أصابتها ، وأعنى بتلك الأمراض ما لصق باللسان من غيبة ونميمة وشهادة زور وغير ذلك من آفات اللسان ، وما حَلَّ بالنفوس من حقد وحسد وضغائن، وما لوث العقل من مكر سيىء وتدبير شديد وغير ذلك من علل ، إنه إذا كانت هناك مراجعة حقيقية ،واتجاه إلى مسيرة عطرة، وتحل بالأخلاق الفاضلة ،وتخل عن الرذائل والشرور، كان عندئذ إجابة

من اللّه للدعاء ،ورضا من السماء، وكان الخير الغامر ، والسرور الشامل. وإذاً تجب مراعاة ما قاله أدهم ، والله الموفق والهادى إلى الصواب .

١٣ـ سخاء غلام

خرج عبد الله بن جعفر ـ يوما إلى الريف، فوصل إلى بستان نخيل ،وفيه غلام يشرف عليه ويتولى شئونه،ورأى مع هذا الغلام ثلاثة أرغفة من الخبز هى طعامه ، وعندئذ جاء كلب واقترب من الغلام ، فأعطاه رغيفا فأكله ،ثم أعطاه الثانى والثالث وأكلهما ، وعبد اللّه بن جعفر ينظر إلى هذا الغلام ويتأمل فيما فعل ، ثم قال له: يا غلام : ماذا تأكل كل يوم ؟ قال له: آكل ما رأيت ، فقال : لِمَ فضلت هذا الكلب على نفسك ؟ قال الغلام :لا توجد كلاب فى أرضنا، فعرفت أن هذا الكلب جاء من مسافة بعيدة جائعا ، فكرهت أن أتركه لجوعه ، فقال له عبد الله : فماذا أنت صانع اليوم بعد أن أعطيت الكلب ما معك من طعام ؟ فقال الغلام : أصوم يومى هذا ، فما كان من عبد اللّه بن جعفر إلا أن اشترى البستان وما فيه من نخيل وآلات ووهبه للغلام، وعندئذ قال له الغلام: إن كان هذا البستان صار لى فإنى سأجعله كله فى سبيل اللّه تعالى.

إنه لموقف عظيم للرجل وللغلام ، وإنه السخاء الإيمانى من جانب كلٍّ منهما ، وإن تصرف الغلام مع الكلب هز مشاعر عبد اللّه ابن جعفر ، ولهذا اشترى البستان وأهداه إلى الغلام ، وما كان من

الغلام إلا أن جعل هذا البستان المهدى إليه فى سبيل اللّه. إن هذا الموقف النبيل تتجلى فيه فضيلة الإيثار ، تلك الفضيلة الإيمانية التى أشاد بها القرآن الكريم، وذكر أمثلة لمن تحلوا بفضيلة الإيثار، ومن هذه الأمثلة التى يتضوَّع عبيرها ، موقف الأنصار أهل المدينة المنورة مع المسلمين الذين جاءوا من مكة مهاجرين إليهم ، فهم أحبوا المهاجرين من أعماق قلوبهم، وآثروهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وشدة، وقدموا إليهم العون عن طيب نفس فى أعظم صورة ،وكانوا معهم فى السراء والضراء، وضربوا المثل الأعلى فى الكرم والبذل ، وهذا هو القرآن الكريم يقول فى حق هؤلاء الأنصار أهل المدينة المنورة : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩] .

إنه لموقف رائع ،أشاد به القرآن الكريم ،وأضفى عليه هالة من التقدير ، وقد خلده الزمن ودونه فى صحائفهَ بمداد الإعجاب والإكبار ، وهذا هو علىّ بن أبى طالب كرْم اللّه وجهه ومعه زوجه السيدة فاطمة ابنة رسول اللّه ﷺ ،إنهما ضربا أروع الأمثلة فى البذل والعطاء ،فهما كانا صائمين فى يوم من الأيام ، وبينما هما يتأهبان قريبا من المغرب لوضع الطعام تمهيدا للإفطار عليه، إذ بمسكين يأتى إلى منزلهما، وطلب منهما العون والمساعدة ،وأخبرهما بأنه جائع وفى

حاجة شديدة إلى الطعام ، فرّقا لحاله وتألما لِمَا هو فيه من جوع شديد، وأعطياه ما لديهما من طعام أعداه للإفطار عليه . وهكذا سداً جوعة هذا المسكين وآثراه على نفسيهما مع أنهما كانا صائمين ، وفى اليوم الثانى كانا أيضا صائمين ، وأعداً طعام الإفطار ، وبينما هما ينتظران غروب الشمس ليفطرا ، إذ بصبى يتيم يدق بابهما ويقول: أنا يتيم وفقير ، وأريد منكما المساعدة والعون ، حتى أذهب ما بى من شدة الجوع ، فما كان منهما إلا أن أعطياه ما أعداه للإفطار عليه، وفى اليوم الثالث صاما أيضا ، وبينما هما يستعدان للإفطار ، إذ بطارق يطرق الباب ويقول : أنا أسير وبحاجة إلى الطعام ، فتأثرا وتألما ، وما كان منهما إلا أن قدما له ما أمامهما من طعام ، وهكذا جسّدا الكرم فى أبهى صورة له ، وآثرا هؤلاء الذين جاءوا إليهما راجين منهما إنقاذهم من شر الجوع وغائلة الفاقة.

إن هذا التصرف ليجسد البذل والإيثار فى صورة إيمانية رائعة، ويبرز صبرهما الجميل فى رضا كامل وقوة تحمل ،ولهذا كان جزاؤهما من اللّه أعظم جزاء ،ومكافآتهما من خالقهما من أسمى المكافآت ،وقد صور لنا القرآن الكريم هذا الموقف الرائع ،وأخبرنا عمّا أعطاه ربنا لعلىّ وفاطمة من ثواب عظيم وأجر جزيل،وصدق ربُّ العزّة حيث قال فى كتابه الكريم، منوها بهذا الصنيع الجميل ،

ومشيدا بهذا الموقف الكريم، وذلك فى قوله جلّ وعزّ: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ۝١٤﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١٤] .

إنه نعم الجزاء من اللّه، وإنه المدح القرآنى ، لهذا النموذج الرائع والمثل الأعلى فى الكرم والإيثار والبذل ،وقد كانت المكافأة من قبل اللّه سخية كل السخاء للإمام علىّ بن أبى طالب وزوجه السيدة فاطمة ، ثم إن هذا الغلام الذى وجد الكلب يلهث ، ورآه فى أمس الحاجة إلى طعام لسد رمقه ،رآه بهذه الصورة فما كان منه إلا أن حرم نفسه من الطعام الذى جاء به ليأكله ، وأعطاه لهذا الحيوان الأعجم ، وفضّله على نفسه ، وأطعمه من منطلق الشفقة عليه ، إنه نعم العطاء وابتغاء وجه اللّه ،ولذا كان العطاء الربّانى عظيما ، وكان الجزاء الإلهى كبيرا ،وكان الرضا من اللّه بلا حدود.

والمثل الأعلى فى ميدان البذل هو الرسول الخاتم ، فلقد كان أجود بالخير من الريح المرسلة، وهو الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة للأمة الإسلامية ، والذى حمل لواء الدعوة الإيمانية بأمانة وصبر وصدق وبجدارة ، فما أعظم رسول الإسلام ، وما أعظم دعوة الإسلام ،وصلوات اللّه وسلامه عليك يا رسول اللّه.

١٤ـ الشاعر والمأمون

جاء أحد الشعراء إلى المأمون وقال له: لقد قلت فيك شعرا، فقال له المأمون : أسمعنيه فأنا فى شوق إلى سماعه، وأنشدنيه لأستمتع به، وعندئذ أخذ الشاعر فى ترديد شعره قائلا :

حيّاك ربُّ الناس حيّاك

إذ بجمال الوجه رقّاك

بغداد من نورك قد أشرقت

وأورق العود بجدواكا

وبعد أن أتم الشاعر ما قاله من شعر،أطرق المأمون ساعة وقال: يا أعرابى : وأنا قلت فيك شعرا وأنشد يقول :

حيّاك ربُّ الناس حيّاكا

أنّ الذى أمّلت أخطاكا

أتيت شخصا قد خلا كيسه

ولو حوى شيئا لأعطاكا

وبعد أن انتهى المأمون من شعره ، قال له الشاعر يا أمير المؤمنين

الشعر بالشعر حرام، فاجعل بينهما شيئا يستطاب ، فضحك المأمون من أعماق قلبه، وأمر له بمال وفير ، إنها الدعابة الشعرية ـ ولها الوقع الحسن فى القلوب ، والأثر الطيب فى النفوس ،والشعر ذو أوزان متنوعة ، وتفاعيل مختلفة، وبمراعاة تلك الأوزان والتفاعيل، يكون للشعر روعته ،ويكون له سحره وأثره العظيم فى أسماع سامعيه

١٥ـ الأعربيان

قيل: إنّ أعرابياً ولاّه الحجاج الثقفى منطقة من المناطق التابعة له، وأقام هذا الأعرابى بتلك المنطقة مدة من الزمن ،وفى يوم من الأيام جاءه أعرابى من تلك المنطقة التى يتولى شئونها، وكان هذا الأعرابى جائعا فقدم إليه الطعام ، لكى يسد رمقه ،وحين كان الأعرابى يتناول الطعام الذى بين يديه ،سأله الأعرابى المولّى من قبل الحجاج قائلا له:

ما حال ابنى عمير ؟

قال له: إنه على خير حال ، وقد ملأ الأرض ،والحىَّ رجالا ونساءًا .

فقال له : وما حال أم عمير ؟

قال له : هى أيضا على خير حال

فقال له: فما حال الدار ؟

قال له: هى عامرة بأهلها .

فقال له : وما حال كلبنا المسمى « إيقاع » ؟

قال له : إنه ملأ الحىَّ نباحا .

فقال له : فما حال جملى زريق ؟

قال له : إنه فى حال تسرك .

تلك هى الأسئلة وتلك هى إجاباتها . ولما كان الأمر كذلك ، التفت والى المنطقة إلى خادمه وقال له :ارفع الطعام الذى بين يدى هذا الأعرابى ، فرفعه الخادم ولم يكن الأعرابى آنذاك قد شبع، ثم التفت هذا الوالى إلى ذلك الأعرابى وقال له:

أعد علىّ ما ذكرت .

فقال له الأعرابى: سَلْ عمًّا بدا لك.

قال: فما حال كلبى إيقاع ؟ .

فقال له : مات الكلب . .

فال له: وما الذى أماته؟ .

قال: اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فمات .

فقال له : أو مات جملى زريق ؟

قال : نعم ، فقال له : وما الذى أماته ؟

قال : كثرة نقل الماء إلى قبر أم عمير.

فقال له: أوماتت أم عمير ؟

قال : نعم.

فقال له : وما الذى أماتها؟

قال : كثرة بكائها على عمير .

قال : أو مات عمير ؟

قال: نعم . قال : وما الذى أماته ؟

قال: سقطت عليه الدار

قال : أوسقطت الدار؟.

قال: نعم .

وعندئذ أمسك الوالى عصاه وأخذ يضرب الرجل الأعرابى بشده، ولم ينقذه من هذا الضرب القاسى إلا الهرب بعيدا عن عصاه وقسوته .

تعقيب : إن الأسئلة التى طرحها الوالى على الأعرابى قد أجيب عنها ، فلماذا إذًا يكون سلوكه مع هذا الرجل بهذه الصورة الحمقاء ، إنه بهذا التصرف الممقوت قد بعد عن الجادة ، ولماذا يأمر الخادم برفع الطعام من أمام الأعرابى وهو لا يزال جائعاً ؟ ثم بعد ذلك أخذ يضربه بقسوة بالغة، وما هو الذنب الذى ارتكبه الأعرابى حتى ينتقم منه هذا الوالى بهذه الصورة الرعناء ؟ إن الأخلاق الطيبة

وسام رفيع على الصدور، وهى رفعة ومجد وسمو، وديننا الإسلامى دين عظيم يحث على التحلى بالأخلاق الفاضلة ،والتخلى عن الرذائل الذميمة، ويدعو إلى الصفاء النفسى والنقاء القلبى ، وبالأخلاق الكريمة تصلح حياة الإنسان ، ويرتفع قدره بين الناس ، ويعلو شأنه لد يهم ،ويكون محلا للاحترام ،فما أحسن تربية الإنسان على الأخلاق، إنه عندئذ يعيش مبجلا محترما،وما أحسن قول الشاعر فى هذا الشأن :

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه

فقوّم النفس بالأخلاق تستقيم

وما أسوأ أن ينهى الإنسان غيره عن ارتكاب الرذائل وهو يعيش فى وحلها، إنه إذا كان بهذه الصورة فإنه يسىء كل الإساءة إلى نفسه، وهذا هو الشاعر يقول فى هذا الشأن:

لا تنه عن خلق وتأتى مثله

عار عليك إذا فعلت عظيم

١٦ـ هارون الرشيد وجعفر مع الشيخ البدوى

مما يحكى أن أمير المؤمنين هارون الرشيد خرج فى يوم من الأيام هو وأبو يعقوب النديم، وجعفر البرمكى، وأبو نواس وساروا فى الصحراء فرأوا شيخا متكئا على حمار له ، فقال هارون الرشيد لجعفر : اسأل هذا الشيخ من أين هو ؟ فقال له جعفر: من أين جئت ؟ فقال : من البصرة ، وقال له أيضا : وإلى أين تسير ؟ فقال : إلى بغداد ، فقال له : وما ذا تصنع فيها ؟

قال ألتمس دواءً لعينى . . .

فقال هارون الرشيد : يا جعفر مازحه .

قال : قد أسمع منه ما أكره.

فقال : بحقى عليك أن تمازحه.

فقال جعفر للشيخ: إن وصفت لك دواءًا ينفعك فما هى المكافأة التى تقدمها لى ؟

فقال له: الله تعالى يعطيك المكافأة ، وهى خير مما أعطيك.

فقال: أنصت إلىّ حتى أصف لك هذا الدواء الذى لا أصفه لأحد غيرك.

فقال له : وما هو ؟

فقال له جعفر : خذ ثلاث أواقٍ من هبوب الريح ، وثلاث أواقٍ من شعاع الشمس ، وثلاث أواقٍ من زهر القمر ،وثلاث أواق من نور السراج ، واجمع الجميع وضعها فى الريح ثلاثة أشهر، ثم بعد ذلك ضعها فى هاون بلا قعر ودقها ثلاثة أشهر،فإذا انتهيت من دقها فضعها فى جفنة مشقوقة ، وضع الجفنة فى الريح ثلاثة أشهر، ثم استعمل هذا الدواء فى كل يوم ثلاثة دراهم عند النوم ،واستمر على ذلك ثلاثة أشهر فإنك تعافى إن شاء اللّه تعالى.

فلما سمع الشيخ كلام جعفر قال له: لا عافاك اللّه يا هذا ، وخذ منى هذه اللطمة مكافأة لك على وصفك هذا الدواء، وبادره بضربة على رأسه ، وهنا ضحك هارون الرشيد حتى استلقى، وأمر لذلك الرجل بثلاثة آلاف درهم .

١٧ـ أجهل من قومي قومك

قال معاوية لرجل من « اليمن»: ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة، فرد عليه الرجل اليمنى ردا قويا مفحما ، حيث قال له : أجهل من قومى قومك ، الذين قالوا حين دعاهم الرسول ﷺ إلى الإيمان بالله: ﴿ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٢) ﴾ [الأنفال: ٣٢]. ولم يقولوا : « اللَّهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه » .

إنه الرد اللاذع ، وإنه القول الصائب ، ونحن لو نظرنا إلى ملكة سبأ من ناحية العقل والحكمة وسداد الرأى لوجدناها قد امتازت بحصافة العقل، وحسن التدبير ، وصواب الرأى، والنظرة العاقلة الفاحصة ، حيث إنها لم توافق قومها على الاتجاه إلى القوة ورعونة التعامل مع سليمان عليه السلام حين دعاها وقومها إلى الإيمان بالله والعبادة له سبحانه دون سواه ، وإلى ترك السجود للشمس التى هى من مخلوقات الله ،وأخبرت القوم بأن من الحكمة أن تعالج الأمور بالحكمة والعقل ، وألا نلجأ إلى التهور والطيش ، وقالت لقومها : إنى أرى أن أرسل إلى سليمان هدية ،وهى التى ستكشف لنا عن شخصيته ودعوته ،وتبين لنا موقفه وحقيقته ، وسيكون قبول الهدية

أو رفضها مؤشرا على صدقه أو عدم صدقه فى رسالته ، ومدى جدّيّته فى دعوته ،وبعد أن قدمت الهدية لسليمان عليه السلام ، اتضحت الرؤية أمام ملكة سبأ ، حيث إنه رفض الهدية ولم يقبلها ،وكان ما كان من الإتيان بعرشها ومقابلتها سليمان،ودعوته لها بالإيمان باللّه الذى خلقها وحباها بنعمه،وكان لهذه الدعوة الإيمانية الصدى والاستجابة ،وإقرارها بظلم نفسها لسجودها لمخلوق من مخلوقات اللّه ، وإعلانها الإيمان باللّه وحده لا لأحد سواه .

هذا موقف ملكة اليمن ،وهو كما نرى موقف عاقل، فيه تبصر وتدبر،واستجابة ورجاحة عقل ،أما كفار قريش فلم يحكِّموا عقولهم، حين دعاهم رسول اللّه ﷺ إلى الإيمان باللّه تبارك وتعالى، وقالوا ما قالوا من طلب إنزال الحجارة، أو الإتيان بالعذاب إن كان ما دعاهم إليه الرسول هو الحق .

إنهم لم يوفقوا فى موقفهم هذا وإنما كان موقفهم سيئا للغاية ، حيث لم يفكروا التفكير السليم ، ولم يتدبروا فيما دعوا إليه ، وإنما دفعتهم الرعونة والعناد والكبر إلى هذا الطلب الذى يمثل التحدى فى أبشع صوره ، وإذاً فموقف أهل اليمن أفضل من موقف كفار مكة ، وموقف ملكة اليمن أفضل وأعظم ، لاستجابتها السريعة إلى الدعوة الإيمانية ،وما أكبر الفرق بين الموقفين .

وقد تحدث القرآن الكريم عن ملكة سبأ وموقف قومها ، وكان ما كان من إيمانها بالله تعالى ، مما يدل على رجاحة العقل ، والاقتناع الكامل بالدعوة الإيمانية . وصدق ربُّ العزَّة حيث قال: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ

أمينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النمل: ٢٣ ـ ٤٤] .

وهكذا أسلمت تلك المرأة ، وهداها اللَّه إلى إعلان إيمانها ، وأكرمها بالأجر الجزيل والثواب العظيم .

١٨ـ الفرج بعد الشدة

الدنيا محل اختبارات،وموطن ابتلاءات ، والإنسان مستهدف فى دنياه ،ولهذا نراه حينا فى غنى ويسار وحينا آخر فى فقر مدقع قاس، وحينا يكون فى صحة وعافية ، وفى وقت آخر يكون عليل الجسم سقيم البدن، ونراه فى بعض الأحيان ناجحا فى تجارته أو زراعته أو صناعته أو عمله فى أى مجال ، ونراه كذلك مفلسا فى أى ميدان من هذه الميادين ، وهكذا نشاهد تلك الصور فى دنيانا ،ونجد هذه الأمور واقعا ملموسا أمامنا ،ولله فى هذا حكمة، وهو سبحانه صاحب التصرف فى خلقه ، وقد يضجر الإنسان وييأس إذا أخفق فى حياته ، أو إذا اعتراه مرض أو أصابته فاقة ، ويعيش كاسف البال مكتئب النفس لما حلّ بساحته،ويظل على هذه الحال من القلق وعدم الرضا ، ولو أنه استخدم عقله وفكّر بترو وتمعن ، ورضى من أعماق قلبه بما قدره الله عليه ،وتحلى بالصبر الجميل ولجأ إلى خالقه، لو أنه كان كذلك ، لعاش مستريح النفس، ولعلم أن هذا الذى أصابه لم يكن ليخطئه ، وأنه يختبر من اللّه بما يبتلى به،والقرآن الكريم قد أخبرنا بما يفيد ذلك المعنى ، وذلك فى قول اللّه تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد:٣١] ،وفى

قوله تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾ [البقرة : ١٥٥ـ ١٥٧] .

ثم إن الصبر هو السلاح عند الملمات، والصبر نصف الإيمان، والصابرون يعيشون فى معية اللَّه ورعايته، وما داموا يصبرون عندما ينزل بساحتهم شيء مما قدره اللَّه عليهم فإنهم سيأتيهم الفرج بعد الشدة ، وسيبدل اللَّه عسرهم يسرا ، وصدق ربُّ العزَّة حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣)﴾ [البقرة : ١٥٣] وحيث قال جلَّ شأنه: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) ﴾ [الشرح: ٥، ٦] والرسول ﷺ بين لنا أنه لن يغلب عسر يسرين ، وبيان ذلك أن الاسم المعرّف إذا كرر يكون شيئًا واحدًا كما فى كلمة « العسر » وأن النكرة إذا كررت تكون شيئين كما فى كلمة « يسرا » .

ثم إن دوام الحال من المحال ، ونحن نلاحظ أن السماء تكون أمامنا صافية خالية من السحب ، وفجأة نراها امتلأت بالسحب ، واختفت الشمس ، وانهمر المطر ، وفى بعض الأوقات نرى السماء ملبدة بالغيوم ، وفجأة نجدها تلاشت، وعادت السماء إلى صفائها

وسطوع شمسها ، وهذا هو النظام البديع ولا يقع فى ملك اللّه إلا ما يريد ،وليضع الإنسان أمام عقله قول اللّه تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾[البقرة: ٢١٦]وقوله تعالى: ﴿ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [النساء : ١٩] .

ومن أحسن ما قيل من شعر فى هذا الشأن :

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها

فرجت وكنت أظنها لا تفرج

وقيل أيضا :

لا يفزعنك هول خطب[١] دامس[٢]

فلعل فى طياته مـا يسعـد

لولم يمد الليل جنح[٣] ظلامه

فى الخافقين[٤] لما أضاء الفرقد[٥]

إن الرضا بما قدر اللّه عنصر من عناصر الإيمان ، وإن الصبر نصف الإيمان ، فليكن المؤمن راضيا من أعماق قلبه بما قدر اللّه ،

---

(١) خطب أمر شديد . (٢) دامس : صعب . (٣) الطائفة من الليل.

(٤) المشرق والمغرب . (٥) النجم الذى يهتدى به .

وليسلم الأمر للّه ،وليكن متحليا بفضيلة الصبر ،ولهذا تكون النتائج طيبة ،ويبدّل اللّه العسر يسرا .

إن الصبر فضيلة من أسمى الفضائل ،فعلى المؤمن أن يكون صبورا، وليسلّم الأمر لخالقنا ، وبذلك يعيش فى ظل الرضا من اللّه، والفوز بجناته .

١٩ـ أهل سقر يتمنون الموت ولكن

إنها المعاناة الشديدة التى لا تماثلها معاناة أخرى ،وإنها الشدة التى لا ترقى إلى مستواها أية شدة، وإنه العذاب الدائم القاسى ، ولمن هذه المعاناة وتلك الشدة وذلك العذاب؟ إن كل ذلك من نصيب أولئك الكفار الذين أوغلوا فى كفرهم، وأغلقوا منافذ عقولهم ، ووقفوا من دعوة الإسلام موقفا من أسوأ المواقف ، ونتيجة لهذا السلوك الشائن والانحراف المزرى ، فإنهم يعذبون فى نار سقر، وهو عذاب متواصل لا يتوقف ، وقوى لا يضعف ، وهو بالغ الشدة والقسوة ولا يعرف الفتور ولا التخفيف ، وهم فى هذا الجو الشديد القاسى من العذاب ، يتمنون الموت ولكن هيهات هيهات ،ويودون أن يأخذوا قسطا من الراحة ولكن لن تتحقق أمنيتهم،وهم يظلون دائما وأبدا فى هذه الشدة ، ويعيشون وسط النار المتأججة التى لا ترحم ، وفى جمرها ولهيبها وسعيرها دون توقف ،وهذا هو القرآن الكريم يتحدث عن هذا الموقف وتلك الشدة ،وذلك فى قول اللّه تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ

النَّذيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧)﴾ [فاطر: ٣٦، ٣٧].

إن الكفار هم الذين صنعوا المقدمات التى أفرزت تلك النتيجة المرّة وهذا المستقبل القاتم ، ولو أنهم فكروا التفكير السليم فى دنياهم، واستخدموا عقولهم فى الخير لا فى الشر ، واستقبلوا دعوة الإيمان .بصدق وإخلاص ،واحتضنتها قلوبهم بشفافية وحب، لو أنهم كانوا بهذه الصورة المشرقة لكان الخير أمامهم ، ولكان حسن المستقبل من نصيبهم ، ولجنبوا أنفسهم هذا المصير السىء ،وتلك العاقبة الوخيمة، ولكنهم استحبوا العمى على الهدى، وحاربوا دعوة الإيمان بكل قوة ، ولهذا وصلوا إلى ما وصلوا إليه من العذاب الشديد، والغضب من رب العالمين ،فهم السبب فى كل ما حدث ويحدث لهم، وهم الذين ألغوا عقولهم التى هى من نعم اللّه عليهم، ولهذا كان الانتقام الربانى منهم ، وكانت نار جهنم فى انتظارهم، وكانت عاقبة أمرهم بهذه الصورة السيئة ،وذلك المصير المشئوم ، والمعاناة وشر المآل . .وإن الموت بالنسبة لهؤلاء الكفار راحة،ولكن أنى لهم تلك الراحة، إذ إنه فى الآخرة لا موت ،ولا راحة لمن حاربوا اللّه ورسوله ، ولا نجاة من عذاب جهنم لمن كفروا بربهم ،وآذوا رسله ،وحاربوا دعوة الإيمان بكل الوسائل ،وهذا بيت من الشعر يتحدث فيه الشاعر عن الموت الذى يتمناه أهل

جهنم، ولكن هيهات هيهات إذ لاموت فى الآخرة، وإذاً فأمانى أهل النار كاذبة ،وهى بعيدة كل البعد عن الحقيقة ،ولا بد لأهل جهنم عما يعانونه من شدة العذاب والانتقام الإلهى، وهم الذين صنعوا لأنفسهم ما سيكونون فيه من غضب الله وقسوة العذاب ، وهذا هو البيت الشعرى الذى يجسد أمانى أهل النار وآمالهم فى الموت ليستريحوا مما هم فيه من شدة ؛ وهاك هو:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا

وحسب المنايا[1] أن يكنّ أمانيا [2]

وفى النار المتأججة ، ووسط هذا العذاب الشديد، يطلق أهل النار أصواتهم، ويقدمون رجاءهم، ويرفعون التماساتهم إلى «مالك» رئيس خزنة جهنم ، للتخفيف عنهم مما هم فيه من شدة وطلبهم الموت ليتخلصوا من هذه المعاناة القاسية؛ وتلك الحياة المليئة بالشدة والعذاب، ولكن لا أمل فى تحقيق أمانيهم ،وصدق ربُّ العزَّة حيث قال فى هذا الشأن : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[الزخرف :٧٧] .

إنهم ماكثون فى نار جهنم دون خروج منها، وهم سيظلون فى هذا العذاب بلا انقطاع، وكلما نضجت جلودهم بدلهم اللّه جلودا غيرها

(١) المنايا : الموت . (٢) أمانيا : آمال .

ليذوقوا بصفة مستمرة هذا العذاب الأليم، وهم الذين جنوا على أنفسهم، ورفضوا دعوة الإيمان وحاربوها، وهم الذين حاربوا رسل اللَّه وأنبياءه ، ووقفوا مواقف شريرة فى دنياهم، وما ظلمهم اللَّه ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، وصدق ربُّ العزَّة حيث قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦)﴾[النساء :٥٦] .

إن مصير الكفار مصير مؤلم كل الألم.

وهذا هو الوليد بن المغيرة أحد الكفار الذين غضب اللَّه عليهم وأعدّ لهم عذاب جهنم وبئس المصير ، وتلك هى بعض الآيات القرآنية الواردة فى هذا الشأن : ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) ﴾ [المدثر: ٢٦ ـ ٣٠] .

وهذا قول ربِّ العزَّة جلَّ شأنه: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧)﴾[المدثر: ٤٣ ـ ٤٧] .

وهكذا يكون الجزاء من جنس العمل ، وتكون النتائج مسبوقة بالمقدمات ،ولا يظلم ربك أحدا من خلقه ، وهو سبحانه عادل كل العدل فى أحكامه، ورحيم كل الرحمة بمن يراجعون أنفسهم ويتوبون

إلى ربهم ، ويستغفرونه من ذنوبهم ، ويغيرون سلوكهم المعوج فى حياتهم ، ويبتعدون عن الخطايا والذنوب ، ويكون الإيمان حيّا فى قلوبهم ، ويخلعون أردية الشيطان عن أجسامهم ، إنه عندما يكونون بهذه الصورة المشرقة ، يتوب ربنا عليهم، وهو سبحانه القائل فى كتابه الكريم : ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢)﴾ [طه: ٨٢]

٢٠ـ مواصفات الاستقامة ونتائجها

سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن معنى الاستقامة فقال: ألا تشرك بالله شيئاً ، وسئل عمر رضي الله عنه عنها فقال: أن تستقيم على الأمر والنهى ، ولا تروغ عن ذلك روغان الثعلب .

وقال عنها عثمان رضي الله عنه : الاستقامة الإخلاص،وقال عنها علىّ ـ كرّم الله وجهه ـ: هى أداء الفرائض : تلك تعريفات للاستقامة ،وقد وردت عن الخلفاء الراشدين أحباب رسول اللّه ﷺ ، أولئك الذين حملوا الراية من بعده والذين قاموا بأدوار عظيمة سجلها التاريخ ،وقد بشرهم رسول اللّه ﷺ بأنهم على رأس قائمة المبشرين بالجنة وما فيها من نعيم خالد ، ورضا إلهى عظيم .وكل هذه التعريفات التى صدرت عنهم عن معنى الاستقامة تلتقى فى اتجاه إيجابى بنَّاء ، يرتكز على حسن السلوك ،ومثالية الأخلاق ، والمعرفة الحقيقية باللَّه تبارك وتعالى، والبعد عن الرذائل ، والعزوف عن الوقوع فى مهاوى الفساد .

إن الاستقامة طريق النجاح ، وسبيل الفلاح ،وعنوان السمو والشرف ،وكلمة الاستقامة صغيرة المبنى حيث لم تزد حروفها على تسعة أحرف، لكنها كبيرة المعنى ، إذ إنَّ تحت هذه الكلمة يندرج كل

فعل جميل وعمل نبيل ، وفى ظلها يعيش المستقيمون فى عزة وكرامة، ويحيون حياة آمنة سعيدة طيبة .والاستقامة تعنى صحة العقيدة وسلامتها من الشوائب، وتتمثل هذه الصحة وتلك السلامة فى الإيمان باللّه وحده، وأنه لا شريك له فى ملكه ،وأنه خالق هذا الكون علويهَ وسفليه بقدرته دون مشاركة من أحد ، وصدق سبحانه حيث قال : ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

وللاستقامة آثار تدل عليها،وهى التحلى بالفضائل الإيمانية، والتخلى عن الرذائل البشرية،وعدم الاعوجاج فى المسيرة الحياتية، وبهذا يكون صلاح حال الأفراد،وبصلاح حال الأفراد يكون صلاح حال الشعوب،والاستظلال بظل السعادة الوارفة الظلال،والدين الإسلامى أمر المسلمين بالاستقامة فى جميع شئونهم،لما يترتب عليها من خير دنيوى وأخروى ،وهذا هو كتاب الله تعالى يتحدث عما يترتب على الاستقامة من ثمار ونتائج،وذلك فى قول اللّه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤)﴾[الأحقاف: ١٣، ١٤] وفى قوله جل شأنه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ

﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢].

هذا هو الجزاء العظيم من الربّ العظيم لأحبابه الذين عطروا مسيرة حياتهم بالاستقامة ، واللّه تبارك وتعالى أمر بها رسول الأمة محمدا ﷺ حيث قال له : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود: ١١٢] .

إن الأمر الكريم من الله لرسوله ولمن معه من المؤمنين ، وتلك الآية الكريمة كانت سببا فى إسراع الشيب إلى رأسه عليه الصلاة والسلام،وقد لاحظ صحابة رسول اللّه هذه الظاهرة ، ولذا قيل لرسول اللّه : لقد أسرع الشيب إلى رأسك يا رسول اللّه، فقال لهم صلوات اللّه وسلامه عليه : « شيبتنى هود وأخواتها» ويعنى بذلك الآية الآمرة له ولأتباعه المؤمنين بالاستقامة وهى من سورة هود ،أما أخواتها فهى سورة الواقعة ،وسورة الحاقة، وسورة المعارج ، وسورة النبأ ،وسورة التكوير ،وسورة القارعة.

إن الاستقامة كلمة جامعة لكل معانى الخير، لافظة لكل معانى الشر، ولا يصل إلى مرتبة الاستقامة إلا كل من سمت روحه، وطهرت نفسه ، واستنار قلبه ، وعاش مع الفضائل طيلة

حياته، وبهذه الحياة الثرية بالعبادة الخالصة الصادقة للَّه، وبالسمو الروحى والصفاء القلبى ، يُقلّد المسلم وسام الرضا من اللَّه، وينال الخير كل الخير من ربه ، ويحظى بأسمى المكافآت ممن خلقه، ويؤكد هذه المنزلة السامية ما جاء فى كتاب اللَّه تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢] .

وقد سبق ذكر هذه الآيات فيما سلف فى هذا الموضوع، وفى إعادتها هنا خير وبركة، لما لها من أثر عظيم فى الدنيا وفى الآخرة، ولأن الآذان حين تسمعها وتعاد عليها تتلقفها بشغف عظيم ، لما تشتمل عليه من بشائر، وما يترتب عليها من مكافآت من اللَّه، وهى مكافآت سخية من الرب العظيم، ومن هنا كانت إعادة تلك الآيات مما يدخل السرور على القلوب، والانشراح إلى الصدور، والابتهاج إلى النفوس. وهذا هو رسول اللَّه ﷺ يقول لأحد الصحابة حين قال له: يا رسول اللّه ،قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك، فكان قول رسول اللَّه له :« قل آمنت باللَّه ثم استقم » .

إنه قول جامع للعقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق ، وهذه

الإجابة النبوية تناولت فى الجملة الأولى وهى« آمنت باللّه» العقيدة الإيمانية السليمة الصحيحة العميقة ، وفى الجملة الثانية وهى « ثم استقم » بيان لما تقتضيه تلك العقيدة الإيمانية من عبادات ومعاملات وأخلاق، وهذا القول المحمدى من جوامع الكلم التى اختص بها اللّه رسوله . . . فهنيئا لمن يعيشون فى ظل الاستقامة المبنية على العقيدة الإيمانية السليمة ،وطوبى لهم وحسن مآب .

٢١ـ امرأة إيمانية مُعلمة

من طريف ما ورد فى الكتب الأدبية ،أن رجلا متزوجا بامرأة كانت تلد له البنات ، فتضايق واشتد كربه ، وامتلأ قلبه حزنا وألما لحرمانه من إنجاب الذكور، ولما كان الأمر كذلك ، فإن الزوج قرر هجر منزل الزوجية ، وأقام بمنزل قريب من منزله الذى به امرأته، وحين إقامته به كانت حالته لا تسر ، حيث إنه كان قلق النفس، مكتئب الفؤاد، ويعيش فى جو مضطرب حزين، ويندب حظه فى الحياة، لأنه لم تنجب له امرأته ذكورا، وبينما هو بهذه الصورة الحزينة، البعيدة عن الرضا بما قدر الله ، إذ به يسمع زوجته تردد كلاما جميلا مس شغاف قلبه ، وحوّل مجرى حياته، وأزال ما به من اكتئاب وقلق، ووجوم وحزن، فماذا سمع هذا الرجل من امرأته؟ إنه سمعها تقول ما يدل على صبرها الجميل، ويبرهن على الرضا الكامل بما قدر اللّه، وعلى الوعى الإيمانى ورجاحة العقل. قالت هذه المرأة متسائلة متعجبة من موقف زوجها ، مندهشة من عدم رضاه، فماذا قالت؟ :

ما لأبى حمزة لا يأتينا يظل فى البيت الذى يلينا

غضبان ألا نلد البنينا تالله ما ذلك فى أيدينا

وإنما نـأخـذ ما أعطيـنا ونحـن كالأرض لزارعينـا

تنبت ما قد زرعوه فينـــا

إنه كلام معبّر ،وإنها لامرأة فضلى ، وإنها لمعلمة ناجحة ، وموقفها الذى يمثل الرضا فى أسمى معانيه، يدل على العمق الإيمانى، والعقل المثالى.

وبعد أن سمع زوجها ما ردده لسانها،وما تغنت به فى منزلها،ما كان من هذا الزوج إلا أن راجع نفسه، وبدّل موقفه ، بعد أن اقتنع بما قالته امرأته ،وما ردده لسانها، وعرف بما لا يدع مجالا للشك بأنه أخطأ كُلّ الخطأ فى حق زوجته، وأن موقفه كان موقفا سيئا ، وأن هذه المرأة مرضىّ عنها من ربها، وأنها أقوى منه إيمانا ، وأحصف عقلا، وأنها جديرة بكل احترام.

ولما كان الأمر كذلك ، فقد ذهب هذا الرجل إلى امرأته ، واعتذر لها عما حدث منه ، وأنه بهجره المنزل وعدم رضاه بما قدره اللّه،كان تصرفا سيئا منه ، وسلوكا أحمق لا مبرر له ، وعملا غير إنسانى،ومسيرة معوجة غير سوية، وكان من الواجب عليه أن يكون راضيا كل الرضا بما قدر اللّه... إنه بعد هذه الصحوة القلبية ، وتلك اليقظة الإيمانية ،عاش فى منزل الزوجية مع امرأته ، بعد أن اعتذر لها، وطلب منها العفو عما حدث منه من إساءة إليها، وتاب

إلى ربه وتحلّى بالصبر الجميل،وسلم الأمر للّه وأرضى زوجتك وغيّر سلوكه معها، ونتيجة لهذا الموقف الإيمانى ولهذه الصحوة القلبية ، كافأ اللّه الرجل والمرأة بذرية صالحة مباركة من البنين ، وهكذا تكون نتيجة الصبر والرضا، وما أحسنها من نتيجة ، وما أعظم الرضا بما قدر اللّه.

٢٢ـ تقوى الله خير زاد

القرآن الكريم حثنا على التزود بزاد التقوى فى ديننا لأنه خير زاد، وقد أمر اللّه عباده المؤمنين فى أكثر من آية بتقواه، حيث إنها تنجى من نار جهنم ، وتؤهل المؤمن إلى دخول الجنة والتمتع بنعيمها وخيراتها، وتحقق آماله التى يرنو إليها ويتطلع ، ثم هى تحول الكرب إلى فرج، وتجعل له من كل هم فرجا، وتبدل عسره يسرا، وبها يرزقه اللّه من حيث لا يحتسب ، وهى دائما مقرونة بالخير ، مرضية للرب ، وتلك هى بعض الآيات القرآنية الواردة فى هذا الشأن ، وما يترتب على الالتزام بما جاء فيها من جزيل الأجر وعظيم الثواب من الله تعالى، وما لها من آثار طيبة ونتائج سارة دنيا وأخرى، ومن هذه الآيات قول الله تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ (١٩٧) ﴾ [البقرة:١٩٧] وقوله تعالى :﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُوْلَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ

الْعَامِلِينَ (١٣٦) ﴾ [آل عمران : ١٣٣ ـ ١٣٦] وقوله سبحانه : ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ (١٩٨) ﴾[آل عمران: ١٩٨] ومنها : ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) ﴾ [يوسف: ٩٠]

ومنها قول ربنّا عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣١) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢) ﴾ [النحل : ٣٠ ـ ٣٢] .

ومنها قول اللّه تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢) ﴾[مريم : ٧٢] . ومنها قول الحق تبارك وتعالى :﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٥٧) ﴾ [الدخان : ٥١ ـ ٥٧] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات:١٣] وقوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ

يَسْتَغْفِرُونَ ⑱ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ⑲﴾ [الذاريات : ١٥ ـ ١٩] وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ⑰ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ⑱ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ⑲ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ⑳﴾ [الطور١٧ ـ ٢٠]، وقوله عزَّ وجلّ: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥] وقوله عظمت قدرته : ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ④﴾[الطلاق : ٤] وقوله : ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ⑤﴾ [الطلاق: ٥] وقوله: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ② وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق٢، ٣] وهناك آيات أُخَرُ تتحدث عما أعده اللَّه من خير عظيم وأجر كبير لأحبابه المتقين . . . والتقوى معناها باختصار شديد، امتثال واجتناب، بمعنى أن يمتثل المؤمن أوامر اللَّه، ويؤدى ما كلفه اللَّه به من عبادات بصدق وإخلاص وأمانة ، ويتحلّى بالفضائل الإيمانية التى أمر اللَّه بها وهذا هو جانب الامتثال، أما جانب الاجتناب فيتمثل فى البعد عن كل ما نهى اللَّه عنه من أفعال ذميمة ،وأعمال إجرامية ، ومعاص ممقوتة، وذنوب مستهجنة، ورذائل قبيحة ، ومن هذه الرذائل الزنا، والسرقة، وشهادة الزور، والربا، والكذب، والغيبة والنميمة وما شاكل ذلك من رذائل شيطانية ،وهناك تفسير جميل للإمام على كرّم الله وجهه

للتقوى ، وهى تشتمل على أربعة عناصر هامة ، وبيان ذلك يتمثل فى قوله هى : « الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل » تلك هى التقوى فى مفهوم الإمام علىّ ، وكل عنصر من هذه العناصر الأربعة يشتمل على معان كثيرة، وهى كلها مرتبطة ببعضها، متلازمة غير منفكة ، والمؤمن الذى يعيش فى ظل التقوى ، ويلزم نفسه بتنفيذ ما جاء فيها من عناصر ، ويظل طول عمره فى دائرتها،ولا يخرج عن إطارها ، ويكون جادا فى ميدانها ، إيجابيا فى تجسيدها ، إنه عند ذاك يكون لدى ربه فى مقعد صدق ، وفى جنات تجرى من تحتها الأنهار ، ويحصل يوم القيامة على المكافآت السخية من اللّه تبارك وتعالى ، والعاقل هو من لا يسوّف ولا يضيّع فى دنياه ،هو ذلك الذى يخشى ربه، فلا يراه حيث نهاه ،ولا ينحرف فى مسيرة الحياة،ولا يقع فى وهاد المعاصى، ووحل الذنوب ؛إنه هو الذى ينظر إلى دنياه على أنها مزرعة للآخرة ، وأن من واجبه أن يبذر فيها العمل الصالح الذى يرضى اللّه ، وبهذا السلوك الإيمانى يؤمّن مستقبله الأخروى ،وينال الخير كل الخير من اللّه تبارك وتعالى، الذى لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ، وما أحسن تلك الأبيات الشعرية التى قيلت فى معرض الحديث عن التقوى ، والتزود الجاد بزادها العظيم قبل أن تنتهى حياة المؤمن فى دنياه ،

وتلك هى الأبيات الواردة فى هذا الشأن ،والداعية إلى لفت نظر المؤمن قبل أن يرحل إلى أخراه، والحاثة له على تقوى اللّه قبل أن تنتهى حياته:

تزود من التقوى فإنك لا تدرى

إذا جنّ ليل هل تعيش إلى الفجر

فكم من صحيح مات من غير علّة

وكم من سقيم عاش حينا من الدهر

وكم من فتى يمسى ويصبح لاهيا

وقد نسجت أكفانه وهو لايدرى

نسأل الله حسن المسيرة فى دنيانا ، والتوفيق إلى ما يحبه سبحانه ويرضى عنه، والخروج من دنيانا بزاد كبير من التقوى لننال الثواب الجزيل فى دار البقاء من رب العباد.

خـاتمة

أخى القارىء : تلك هى « الطُرف » قد جاءت إليك رافلة فى حلتها القشيبة العطرة ، وها هى ذى قد اكتمل عقدها ، وظهرت فى طبعتها الأنيقة الخلاّبة ، وتلك هى « العظات» النافعة الموقظة لمن عاشوا فى جو الغفلة تهيب بهم أن استيقظوا من سباتكم، وأفيقوا من غفلتكم ، واطرحوا أردية التقصير وراء ظهوركم ، وعيشوا مع الصلة بربكم، لتنالوا الخير دنيا وأخرى من خالقكم .

أيها القارئ الكريم : تلك هى مائدة « الطرائف » أمامك ، فسرّح الطرف فيما حوته، وتناول الغذاء المعنوى من أوانيها، وهو غذاء متنوع مفيد مكتمل العناصر ، به يقوى جهاز المناعة المعنوية لديك، واللّه نسأل أن تجد الراحة النفسية مع تلك « الطُرف » التى هى بين يديك ،وإذا طال الأجل سنتبعها بأخرى بعون اللّه ومشيئته، وما التوفيق إلا باللّه ،وما العون إلا منه سبحانه وتعالى.

حامد على زقزوق　　　　أحمد حافظ عبد النبى

الفهرس